

الفصل الثاني

مدخل إلى نقد روايات السيرة

يهدف هذا الفصل إلى بيان الأمور المدخلة لعلم نقد روايات السيرة لأنها ستعين على الفهم وإعطاء التصورات العامة لهذا العلم الدقيق، وستساعد أيضاً في إظهار ما تميّز به هذا العلم عن غيره من العلوم الأخرى، وكيف تطوّر تاريخياً، وما قام به العلماء السابقون للحفاظ عليه من الضياع والاندثار. وينقسم الفصل إلى مبحثين، هما: المبحث الأول، مفهوم علم نقد روايات السيرة. والمبحث الثاني، تاريخ علم نقد روايات السيرة. المبحث الأول يندرج تحته مطلبان: النقد لغةً واصطلاحاً، والسيرة لغةً واصطلاحاً، وأمّا المبحث الثاني، ففيه ثلاثة مطالب، هي: الجمع في روايات السيرة، والنقد في روايات السيرة، وفي الأخير ما تيسر من إسهامات العلماء في نقد روايات السيرة في كتب السيرة.

1,2 المبحث الأول: مفهوم نقد روايات السيرة

سيقتصر الكلام حول كلمة "النقد" و"السيرة" فقط، دون التطرق إلى كلمة "الرواية" لأنها كلمة معروفة بين الناس خصوصاً عند طلاب العلم، أما كلمة "النقد" و"السيرة"، فقد اختلف العلماء في تعريفهما، ولذلك سيعرض الباحث كل هذه التعريفات - حسب اطلاعه المتواضع -، بقدر المستطاع، ثم يختار أصوب التعريفات منها. ولهذا ينقسم هذا المبحث إلى مطلبين وهما: النقد لغةً واصطلاحاً، والسيرة لغةً واصطلاحاً.

1،1،2 أولاً: التَّقْدُ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا

كلمة التَّقْدُ مشتقة من الفعل نَقَدَ، ونظرًا إلى مفهومها لغَةً، يمكن أن نقول إنَّ التَّقْدَ يأتي بمعنيين. أولهما بمعنى كشف وإبراز شيء كالعيوب، ونحوها في الدرّاهم مثلاً. قال ابن فارس: "التُّون والقاف والدَّال، أصلٌ صحيح يدلُّ على إبراز شيء وبروزه"³²، وقال ابن منظور: "... والتَّقْدُ والتَّنْقَادُ: تمييزُ الدرّاهم وإخراجُ الرِّيفِ منها"³³. وقد استُخدم بهذا المعنى في قول أبي مُسْلِمٍ الحَوْلَاني³⁴: "كَانَ النَّاسُ وَرَقًا لَا شَوْكَ فِيهِ، وَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ شَوْكٌ لَا وَرَقَ فِيهِ، إِنَّ سَابَبَتَهُمْ سَابُوكَ، وَإِنْ نَاقَدْتَهُمْ نَاقَدُوكَ، وَإِنْ تَرَكَتَهُمْ لَمْ يَتْرُكُوكَ"³⁵. وثانيهما بمعنى خلاف التَّسْيِئَةِ، أي إعطاء الشَّيء وقبضه مباشرةً في آن واحد. قال ابن منظور: "التَّقْدُ: خلاف التَّسْيِئَةِ"³⁶، وقال الرّازي: "ونَقَدَ له الدرّاهم أي أعطاه إياها فانتَقَدَها أي قبضها"³⁷، ويمكن القول أنّ أقرب معنى للتَّقْدَ يزيدُه الباحث هو المعنى الأوّل، حيث التَّقْدُ هو التَّمْيِيزُ بين الأوجه الحسنة والعيوب في شيءٍ بعد فحصه ودراسته، كعملية إخراج الرِّيفِ من الدرّاهم.

والذي يراه الباحث أنّ المراد بالتَّقْدَ في الاصطلاح عمومًا لا يخالف ما حدّده التعريف اللّغوي له حيث التَّقْدَ في الاصطلاح عمومًا هو عبارة عن تحليل وتحكيم على محاسن الشَّيء وعيوبه، إلّا أنّ التحليل والتحكيم قد يختلفان من ناقدٍ إلى آخر، فما يراه ناقدٌ ما سلبياً، قد يراه ناقدٌ آخر إيجابياً. فالتَّقْدَ يشمل

³² ابن فارس، أحمد. 1979. معجم مقاييس اللغة. دمشق: دار الفكر. ج. 5. ص. 467.

³³ ابن منظور، محمّد بن مكرم. 1993. لسان العرب. بيروت: دار صادر. ج. 3. ص. 425.

³⁴ هو عبد الله بن ثوب، وأسلم قبل وفاة النَّبِيِّ ﷺ ولم يره، وقدم المدينة حين استخلف أبو بكر، وهو سيد التابعين، ومن رجال صحيح المسلم. انظر: الذهبي، شمس الدّين أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. 1985. سير أعلام النبلاء. بيروت: مؤسسة الرّسالة. ج. 4. ص. 7. ابن منجويّه، أحمد بن علي بن محمّد بن إبراهيم. 1986. رجال صحيح مسلم. ج. 2: 410. رقم الحديث 2134.

³⁵ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمّد بن إبراهيم بن عثمان بن حواسي العبسي. 1989. الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار. الرّياض: مكتبة الرّشد. ج. 7: 206. رقم الحديث 35373.

³⁶ ابن منظور. 1994. لسان العرب. ط. 3. ج. 3. ص. 425.

³⁷ الرّازي، زين الدّين أبو عبد الله محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي. 1999. مختار الصّحاح. بيروت: المكتبة العصريّة. ص. 317.

جميع مجالات العلم مثل الأدب، والشعر، والسينما، والفنون، والعلوم، والآراء السياسية، والاجتهادات الدينية، والمقالات الصحفية، وغيرها.

أما النقد عند المحدّثين فلم يجد الباحث تعريفاً خاصاً للنقد عند المتقدّمين - حسب استقصاء الباحث المتواضع-، والذي وجدته هو بعض التعريفات التي وضعها المعاصرون من العلماء، منها ما عرفه الدكتور مصطفى الأعظمي: "تميز الأحاديث الصحيحة من الضعيفة، والحكم على الرواة توثيقاً وتجريراً"³⁸. وقال الدكتور أحمد سيف أنّ النقد عند المحدّثين يتضمّن قضية الجرح والتعديل وعلل الحديث³⁹. ومن جانب آخر ثمة من يتوسّع في معنى النقد، مثل تعريف الدكتور محمّد طاهر الجواي: "الحكم على الرواة تجريراً أو تعديلاً بالفاظ خاصّة ذات دلائل معلومة عند أهله، والنظر في متون الأحاديث التي صحّ سندها لتصححها أو تضعيفها، ورفع الإشكال عمّا بدا مشكلاً من صحيحها ودفع التعارض بينهما، بتطبيق مقاييس دقيقة"⁴⁰، ويظهر أنّه أدخل ما لم يدخله الأعظمي حيث ضمّ في التعريف ما يتعلّق بدراية الحديث مثل دفع التعارض بين المتون وإشكالها. فجمع الأحاديث من كلّ وجه والنظر في قبولها أو عدمها جمعاً، وتمحيصاً وتفتيشاً يدخل في نطاق النقد عند المحدّثين، ويشمل النظر في الأسانيد والمتون معاً، فنقد متن الحديث وسنده أمران متلازمان. بل أكّد ابن حبان أنّ من شروط صدور الفتوى معرفة المفتي ما يتعلّق بالأسانيد والمتون معاً، ولا يستغني أحدهما عن الآخر، قال ابن حبان:

³⁸ مسلم بن الحجاج. 1982. التمييز. رياض: شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة. ص. 5.

³⁹ انظر: البغدادي، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء. 1979. التاريخ دراسة وترتيب وتحقيق.

مكة المكرمة: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي. ج. 1. ص. 6.

⁴⁰ الجواي، الدكتور محمّد طاهر. مجهّد المحدّثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف. ص. 94.

"فمن لم يحفظ سُنَنَ النَّبِيِّ ﷺ ولم يحسن تمييز صحيحها من سقيمها. ولا عرف الثَّقَات من المحدثين ولا الضُّعَفَاء من المتروكين، ومن يجب قبول انفراد خبره ممن لا يجب قبول زيادة الألفاظ في روايته، ولم يحسن معاني الأخبار، والجمع بين تضادها في الظواهر، ولا عرف المفسر من الجمل، ولا المختص من المتقضى، ولا النَّاسِخ من المنسوخ، ولا اللفظ الخاص الذي يرادُ به العام، ولا اللفظ العام الذي يرادُ به الخاص، ولا الأمر الذي هو فريضة وإيجاب، ولا الأمر الذي هو فضيلة وإرشاد، ولا النهي الذي هو حتم لا يجوز ارتكابه من النهي الذي هو ندبٌ مباح استعماله مع سائر فُصُولِ السُّنَنِ وأنواع أسباب الأخبار على حسب ما ذكرناها في كتاب فُصُولِ السُّنَنِ. كيف يستحلُّ أن يفتي؟"⁴¹.

ومن أحسن التعريفات التي يجدها الباحث ما ذكره الدكتور عبد الصمد بن بكر بن إبراهيم آل عابد - في مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية بعنوان "مقدمة في نقد الحديث سندًا وامتناً" - أن تعريف النِّقَد في اصطلاح المحدثين، هو: "الهيئة الحاصلة في الكشف عن الحديث المقبول من المردود، وَفَقَّ ضوابط تعارف عليها نُقَادُ الحديث"⁴².

2,1,2 ثانياً: السِّيرَ لغةً واصطلاحاً

السِّيرَ في اللغة جمع السِّيرة وهي الطريقة، سواء كانت خيراً أو شراً⁴³. أما في الاصطلاح فقد وقف الباحث على عدّة تعريفات وضعها العلماء، وهي:

⁴¹ ابن حبان. 2000. المجرّوحين من المحدثين والضُّعَفَاء والمتروكين. الرياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع. ط. 1. ج. 1. ص. 21.
⁴² انظر: آل عابد، عبد الصمد بن بكر بن إبراهيم. 2009. مقدمة في نقد الحديث سندًا وامتناً. مجلة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية. العدد. 48. ص. 82.
⁴³ انظر: ابن فارس. 1979. معجم مقاييس اللغة. ج. 3. ص. 120. الرّازي. 1999. مختار الصحاح. ص. 159. ابن منظور. 1993. لسان العرب. ط. 3. ج. 4. ص. 389. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشّريف. 1983. التّعريفات. لبنان: دار الكُتُب العلميّة بيروت. ط. 1. ص. 122. مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة. المعجم الوسيط. القاهرة: دار الدعوة. ج. 1. ص. 467.

التعريف الأول: السيرة هي الترجمة الماثورة لحياة النبي ﷺ.

التعريف الثاني: ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها.

ذكر هذين التعريفين محمد العواجي في كتابه⁴⁴، ولوحظ أنه أطلق مفهوم السيرة على معنى السنة، وهو الذي مال إليه جمال الدين القاسمي في كتابه⁴⁵.

التعريف الثالث: دراسة حياة النبي ﷺ وأخبار أصحابه على الجملة، وبيان أخلاقه، وصفاته، وخصائصه، ودلائل نبوته، وأحوال عصره⁴⁶. وهذا التعريف دمج بين تعريف علماء الحديث وعلماء التاريخ، حيث جعل علماء الحديث السيرة مرادفة للسنة، وأطلقها علماء التاريخ على أخباره ومغازيه ﷺ، ويُعدان تعريفين متكاملين غير متضادين.

التعريف الرابع: السيرة هي جميع ما يتصل بتطبيقات الرسول ﷺ العملية للإسلام⁴⁷. والذي يراه الباحث أن التعريف المختار عند الباحث هو التعريف الرابع. وذلك لأن التعريفين الأول والثاني لا يبينان الفرق بين مصطلحي السنة والسيرة في الاصطلاح، وإن لم يفرق بينهما التعريف اللغوي كما مرّ سابقاً.

⁴⁴ انظر: العواجي، محمد بن محمد. د.ت. أهمية دراسة السيرة النبوية والعناية بها في حياة المسلمين. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد. ص.

⁴⁵ انظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم. 1961. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث. دار إحياء الكتب العربية. ط. 2. ص. 61-64.

⁴⁶ انظر: السلمي، محمد بن صامل، وقصاص، عبد الرحمن بن جميل، والموسى، سعد بن موسى والآخرين. 2010. صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر. جدة: مكتبة روائع المملكة. ط. 1. ص. 12.

⁴⁷ انظر: قريبي، إبراهيم بن إبراهيم. 1991. مرويات غزوة حنين وحصار الطائف. المدينة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية. ج. 1. ص. 11.

وأما التعريف الثالث فإنه يحتوي بعض الأجزاء المتعلقة بالسيرة كدراسة حياة النبي ﷺ وأخبار أصحابه، ونحوها، إلا أنه في نفس الوقت يحتوي أشياء لا تليق بالسيرة كبيان أخلاق الرسول ﷺ، وصفاته، وخصائصه لأنها تتعلق تعلقًا وثيقًا بشمائله ﷺ. ويقصد الباحث بروايات السيرة جميع الروايات التي تتعلق بتطبيقات الرسول ﷺ العملية للإسلام.

فنقد روايات السيرة هو: تحليل وتحكيم ما يقبل من روايات تتصل بتطبيقات الرسول ﷺ العملية للإسلام، وما لا يقبل منها. والجدير بالذكر أن نقد روايات السيرة يشمل الجانبين: سندًا ومحتوىً أيضًا، حيث يفرض أن يراعي دراسة أسانيد روايات السيرة ومتونها على حد سواء، وهذا هو الذي سوف يطبقه الباحث من خلال هذا البحث. والله أعلم.

2,2 المبحث الثاني: تاريخ نقد روايات السيرة

بعد بيان التعريف المختار عند الباحث لنقد روايات السيرة، سيذكر الباحث الأمور المدخلة المتعلقة بتاريخ نقد روايات السيرة من خلال ثلاثة مطالب، وهي: الجمع في روايات السيرة، والنقد في روايات السيرة، وفي الأخير سيذكر الباحث بعض إسهامات العلماء في نقد روايات السيرة في كتب السيرة. ومن خلال هذه المطالب، سيحدد القارئ التصورات العامة حول تاريخ نقد روايات السيرة من عهد الرسول ﷺ إلى العصر الراهن.

1،2،2 أولاً: الجمعُ في روايات السِّيرِ

أقدمُ الأئمَّة المشهورين في السِّيرِ والمغازي جمعُ من الأئمَّة مثل عبد الله بن عبَّاس (84هـ)⁴⁸ ، وأنس بن مالك (93هـ)⁴⁹ ، وعروة بن الرُّبَيْر (94هـ)⁵⁰ ، وأبان بن عثمان بن عفَّان (95هـ أو 105هـ)⁵¹ ، وغيرهم من أئمَّة المغازي والسِّيرِ في القرون الأوائل⁵² ، وإنَّ من أسمى جُهودهم جمعُ أكثر مادَّةٍ ممكنة تتعلَّق بالسِّيرِ والمغازي، وكان من أهمِّ أسباب جمعهم وتأليفهم لروايات السِّيرِ والمغازي طلبُ الخليفة الذي استشارهم لمعرفة تفاصيل المغازي مثلما حدث لعروة بن الرُّبَيْر الذي ألَّف كتابات السِّيرِ استجابةً لطلب عبد الملك بن مروان منه، وتعدُّ هذه الكتابات أقدم المدوَّات المحفوظة المتعلِّقة بمحوادث خاصَّة في حياة

⁴⁸ ومن أمثلة ذلك، سرده لكتاب الرُّسُول ﷺ إلى المنذر بن ساوى. انظر: ابن سيد النَّاس، محمَّد بن محمَّد بن أحمد، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح، فتح الدِّين. 1993. عُيُون الأثر في فنون المغازي والسِّيرِ. ج. 2. ص. 334. وكتاب الرُّسُول ﷺ إلى أهل خيبر. وانظر: ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري. 1955. السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. ط. 2. ج. 1. ص. 544.

⁴⁹ يُعدُّ أنس بن مالك أحد الصَّحابة المهتمين بالمغازي والسِّيرِ، حيث تحدَّث عن "مناقب الأنصار ومشاهدتهم".... انظر: البخاري. 1993. صحيح البخاري. ط. 5. ج. 3. ص. 1376.

⁵⁰ ذهب بعض العلماء إلى أنَّ عروة بن الرُّبَيْر هو من أوَّل صَنَف في المغازي. قال الدَّهبي: "كان عالمًا بالسِّيرة وهو أوَّل من صَنَف المغازي". انظر: الدَّهبي، شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قانم. 2003. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. بيروت: دارُ الغرب الإسلامي. ط. 1. ج. 2. ص. 1139. وقال السَّخاوي: "روى ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الرُّبَيْر المغازي، وكذا الرُّبَيْر، عن عروة بن الرُّبَيْر، عن أبيه". انظر: السَّخاوي، الحافظ المؤرِّخ شمس الدِّين محمَّد بن عبد الرَّحمن. 2017. الإعلان بالتَّوخيخ لمن ذمَّ أهل التَّواريخ. الرِّياض: دارُ الصَّميعي للنَّشر والتَّوزيع. ط. 1. ص. 274.

⁵¹ اشتهر أبان بن عثمان بن عفَّان بالمغازي والسِّيرِ حتى أصبح من أساتذة هذا الفنِّ الحائزين على ثقة العلماء، ولم يقف عليه إلا من خلال نصِّ أورده ابن سعد عرضًا في سياق ترجمته للمغيرة بن عبد الرَّحمن بن حارث، فقال عنه: "كان ثقةً قليل الحديث، إلا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها عن أبان بن عثمان". انظر: عبد اللطيف، عبد الشَّافى محمَّد. 2007. السِّيرة النَّبويَّة والتَّاريخ الإسلامي. القاهرة: دارُ السَّلام. ص. 20.

⁵² انظر: أحمد نور، ياسر. 2014. علم السِّيرة النَّبويَّة ومؤرِّخوها في المدينة المنوَّرة في القرنين الأوَّل والثَّاني الهجريين. مجلَّة مركز بحوث ودراسات المدينة المنوَّرة. ص. 174-210.

النَّبِيِّ ﷺ⁵³. ثم يأتي بعدهم أئمة آخرون مثل وهب بن منبه (114هـ)⁵⁴، وعاصم بن عمر بن قتادة (119هـ)⁵⁵، وابن شهاب الزهري (123هـ)⁵⁶ وغيرهم. والجدير بالذكر، أن هذه الكتابات لا تهتم بالجانب التقدي لروايات السير والمغازي لشغلهم في جمع ما أمكنهم من هذه الروايات. ويمكن القول أن مؤلفي السير والمغازي في جمعهم لمادة السير ينقسمون إلى مدرستين مشهورتين، وهما مدرسة أهل الحديث، ومدرسة المؤرخين. أما مدرسة أهل الحديث فإن من أهم ركائزها قواعد الرواية وتمييز الأسانيد عن بعضها، وتقطيع الرواية الواحدة لمناسبة أبواب المؤلفات دون مراعات ترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً، خلافاً لمدرسة المؤرخين، فإن عنايتها البالغة هي جمع أكثر ما يمكن من روايات السير مع الاهتمام البالغ بترتيب الحوادث ترتيباً زمنياً. ومن العلماء الذين انتموا إلى بمدرسة أهل الحديث: أحمد بن حنبل⁵⁷، ويحيى بن معين⁵⁸، والبخاري⁵⁹، وغيرهم من العلماء.

⁵³ انظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي. 1967. تاريخ الطبري أو تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري. بيروت: دار التراث. ط. 2. ج. 2. ص. 328، 421، ج. 3. ص. 55، 163.

⁵⁴ هو أبو عبد الله الأبنوي اليماني اليماني الصنعائي، وهو أحد كبار التابعين. ولد في زمن عثمان، سنة أربع وثلاثين، ورحل، وحج. قال العجلي: تابعي، ثقة، كان على قضاء صنعاء. انظر: الذهبي. 1985. سير أعلام النبلاء. ج. 4. ص. 544-556.

⁵⁵ أبو عمر الظفري، الأنصاري، المدني. ويقال أبو عمرو، أحد العلماء. وكان عارفاً بالمغازي، يعتمد عليه ابن إسحاق كثيراً. وكان جدّه من فضلاء الصحابة، وهو الذي رد النبي ﷺ عينه، فعادت بإذن الله كما كانت. انظر: الذهبي. 1985. سير أعلام النبلاء. ج. 5. ص. 240-241.

⁵⁶ هو الزهري محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، العلم، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام. قال شفيان: كان الزهري أعلم أهل المدينة. انظر: الذهبي. 1985. سير أعلام النبلاء. ج. 5. ص. 326-349.

⁵⁷ هو الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الدهلي، الشيباني، المروزي، ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام. انظر: الذهبي. 1985. سير أعلام النبلاء. ج. 11. ص. 177-358.

⁵⁸ هو الإمام، الحافظ، الجهد، شيخ الحديثين، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام الغطفاني ثم المري، مولاهم البغدادي، أحد الأعلام. انظر: الذهبي. 1985. سير أعلام النبلاء. ج. 11. ص. 71-96.

⁵⁹ هو أبو عبد الله البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه، وقيل: بذرزبه، وهي لفظة بخارية، معناها الزراع. انظر: الذهبي. 1985. سير أعلام النبلاء. ج. 12. ص. 391-471.

ويظهر تأثر غيرهم بمدرسة المؤرّخين مثل الواقدي⁶⁰، والبلاذري⁶¹، ويبدو أنّ بعض العلماء قد جمعوا بين هاتين المدرستين مثل محمّد بن إسحاق⁶²، وخليفة بن الخياط⁶³، ويعقوب بن سفيان الفسوي⁶⁴، ومحمّد بن جرير الطّبري⁶⁵، حيث أفادوا من مدرسة أهل الحديث في سرد الأسانيد وجمعها لإكمال صورة الحوادث أو جمعها تحت موضوع واحد، وأفادوا من مدرسة المؤرّخين بجمع ما أمكنهم من روايات السّير بدون اشتراط صحّة الروايات التي جمعوها، وتركوها للقارئ لتمييز ما صحّ منها وما لم يصحّ.⁶⁶

2,2,2 ثانياً: النّقد في روايات السّير

إنّ وجهاً من وجوه النّقد نشأ مبكراً في عهد رسول الله ﷺ ولكنّه كان على نطاق ضيق جداً لأنّ الهدف الوحيد من استفسار الصّحابة للرّسول ﷺ كان لمزيد من الاطمئنان القلبي، وليس لغرض تحقير أحاديث الرّسول ﷺ اقتداءً بما ورد في القرآن الكريم عن قصّة إبراهيم عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

⁶⁰ هو محمّد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم الواقدي المدني القاضي، صاحب التّصانيف والمغازي، العلّامة الإمام أبو عبد الله، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه. انظر: الذّهبي. 1985. سيرة أعلام النّبلاء. ج. 9. ص. 454-469.

⁶¹ هو البلاذري أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر، العلّامة، الأديب، المصنّف، أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي، البلاذري، الكاتب، صاحب (التّاريخ الكبير). توفي بعد السّبعين وماتت به رحمه الله. انظر: الذّهبي. 1985. سيرة أعلام النّبلاء. ج. 13. ص. 162-163.

⁶² هو محمّد بن إسحاق بن يسار بن خيار الأخباري، صاحب السّيرة النّبوية. روى له مسلم في المتابعات، واستشهد به: البخاري، وأخرج أرياب السّنن له. انظر: الذّهبي. 1985. سيرة أعلام النّبلاء. ج. 7. ص. 33-55.

⁶³ هو الإمام، الحافظ، العلّامة، الأخباري، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العنبري، البصري، ويلقب بشباب، صاحب التّاريخ وكتاب الطّبقات وغير ذلك. انظر: الذّهبي. 1985. سيرة أعلام النّبلاء. ج. 11. ص. 472-474.

⁶⁴ هو الإمام، الحافظ، الحجّة، الرّحال، محدّث إقليم فارس، الفسوي أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، من أهل مدينة فسا، ويقال له: يعقوب بن أبي معاوية. وله تاريخ كبير جُمّ الفوائد، ومشيخته في مجلّد. انظر: الذّهبي. 1985. سيرة أعلام النّبلاء. ج. 13. ص. 180-184.

⁶⁵ هو محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير الطّبري الإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطّبري، صاحب التّصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان. انظر: الذّهبي. 1985. سيرة أعلام النّبلاء. ج. 14. ص. 267-282.

⁶⁶ الغمريّ. 1994. السّيرة النّبوية الصّحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحرّرين في نقد روايات السّيرة النّبوية. المدينة المنورة: ط. 6. ج. 1. ص. 11-12.

رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُخَيِّبُ الْمَوْتَى ۖ قَالَ أَوْمَهُ تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾.

وإذا تتبعنا أقوال الأئمة المتعلقة بالسِّير والمغازي يظهر أن كثيراً منهم تساهلوا في قبول روايات السِّير والمغازي الضعيفة استناداً لأقوال كبار الأئمة مثل ما قال الإمام أحمد عن ابن إسحاق: "ابن إسحاق رجل تكتب عنه هذه الأحاديث - يعني: المغازي - ونحوها، وإذا جاء الحلال والحرام أردنا قوماً هكذا، وقبض أصابع يديه الأربع"⁶⁸، وبهذا القول يلخص كثير من العلماء أن روايات السِّير والمغازي تقبل وإن كانت ضعيفة من حيث الرواية، وشأنها لذلك كشأن أحاديث الفضائل والرفائق والمواعظ والترهيب والترغيب ونحوها. ويبدو أن هذا التساهل يترك الأثر السلبي في روايات السِّير والمغازي من خلال الأخبار العجيبة والغريبة التي نقلها بعض المؤرخين عبر العصور⁶⁹، ما جعل كثيراً من المحيِّثين يدعون إلى تذيب روايات السِّير والمغازي في ضوء قواعد الجرح والتعديل عند المحيِّثين بصرف النظر عما تضمنته هذه الروايات.

⁶⁷ القرآن. البقرة. 2:260.

⁶⁸ السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن. 2003. فتح المغيِّب بشرح الفقيه الحديث العراقي. مصر: مكتبة السنة. ط. 1. ج. 1. ص. 350.

⁶⁹ مثل كتاب قصص الأنبياء للتعلي المسمى عرائس المجالس، وقال عنه ابن تيمية: أجمع أهل العلم بالحديث أن التعلي يروي طائفة من الأحاديث الموضوعات... إلى أن قال: والتعلي فيه خير ودين، لكنه لا خبرة له بالصحيح من الأحاديث، ولا يميِّز بين السنة والبدعة في كثير من الأقوال. انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحنبلي الدمشقي. 1986. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط. 1. ج. 7. ص. 12. ومثل كتاب سيرة البكري التي أفتى ابن حجر الهيثمي وجمال الدين السيوطي بأنه لا تجوز قراءتها لأن غالبها باطل وكذب، وقد اختلط فحرم الكل حيث لا يتميز. انظر: الهيثمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي الأنصاري. الفتاوى الحديثة. دار الفكر. ص. 116. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. 2004. الحاوي للفتاوي. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. ج. 1. ص. 442. وانظر: الخضير، عبد الكريم بن عبد الله. 1997. الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به. الرياض: دار المسلم للنشر والتوزيع. ط. 1. ص. 320-323.

ومن جانب آخر سلك بعض العلماء بين المسلكين السابقين، وأجهوا إلى التفريق بين روايات السيرة المتعلقة بالعقائد والأحكام وبين الروايات التي لا تتعلق بهما، وقالوا أنّ التي تتعلق بالعقائد والأحكام يجب إخضاعها لقواعد المحدثين، وأمّا التي لا تتعلق بها فلا حاجة إلى تحقيقها في ضوء قواعد المحدثين، ومثال ذلك أنّ روايات السيرة التي تتعلق بتقسيم الغنيمة وكيفية معاملة الأسرى، ونحوهما لا بدّ من مراعاة قواعد الجرح والتعديل عليها لقبولها لتعلقها بالأحكام من الحلال والحرام. أمّا ما يتعلق بعدد الجيوش والأعوام ونحوهما فلا بأس بالتساهل فيه خاصّة لإكمال ما فاتته روايات السيرة الصحيحة من الفراغات التاريخية.⁷⁰

2,2,3 ثالثاً: إسهامات العلماء في نقد روايات السيرة في كتب السيرة

كما ذكر الباحث في مقدّمة الدراسة، أن مبدأ النّقد بدأ مبكراً في عهد الرّسول ﷺ حيث رجعوا إلى الرّسول ﷺ في كلّ قضية اختلفوا فيها، مثل ما حدث بينهم في فهم أمر الرّسول ﷺ: "لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"، فصلّى بعضهم في الطريق، ولم يصلّ البعض الآخر حتى أتوها، وسألوا الرّسول ﷺ، ولم يعيّف الرّسول ﷺ أحداً منهم⁷¹. وإنّ فعل الصحابة في التّأكد من أصحّ الأمرين يعدّ مقدّمةً لمظاهر النّقد، واستمرّ هذا المظهر بعد وفاة الرّسول ﷺ، إذ يُرى اهتمامهم بالتّثبت من رتبة أحاديث رسول الله ﷺ من خلال طلبهم الشّواهد قبل قبول ما نُسب إلى الرّسول ﷺ.

وقد تقدّم أيضاً ذكر أسماء أئمّة السيرة المشهورين في أوّل المبحث مثل عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وأبان بن عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وغيرهما من الذين أسهموا في جمع روايات السيرة والمغازي في الصحائف المجرّدة، ولم يظهر فيها وجه من وجوه النّقد، والذي يبيّن للباحث أنّ أوّل من طبّق النّقد في كتب السيرة

⁷⁰ وانظر: الخضير. 1997. الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به. ص. 320-323.

⁷¹ انظر: البخاري. صحيح البخاري. كتاب المغازي. باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب. مصر: السلطانية. ج. 5. ص. 112. رقم الحديث 4119.

المجرّد هو عبد الملك بن هشام المعافري⁷² (ت213هـ) في كتابه سيرة ابن هشام⁷³، وهو تهذيبٌ لسيرة ابن إسحاق حيث قام بعمله التّقدي من خلال حذفه للإسرائيليات من روايات السّير فيها، والأشعار المنتحلة، وأضاف إليها الفوائد الجديدة كاللّغة والأنساب، ومعظمه يتماشى مع ما أورده كُتُب الأحاديث الصّحيحة، ونال رضا جمهور العلماء الذين وثّقوه واعترفوا بعلو رتبته في مجال السّيرة⁷⁴. واستمرّت جهود العلماء في نقد روايات السّير في كُتُب السّيرة بعد ذلك عبر العُصور، وسيقتصر الباحث على اختيار بعضها لإظهار وجوه التّقدي فيها، ومن بين هذه الكُتُب:

1. جوامع السّيرة النبوية لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت456هـ)⁷⁵.

وقد استوعب هذا الكتاب ما يتعلّق بنسب الرّسول ﷺ ومولده إلى وفاة الرّسول ﷺ، دون ذكر إسنادٍ لهذه الروايات ولا ذكر مصادرها إلاّ تصرّحاً ببعض نقله عن تاريخ خليفة ابن خياط، وتاريخ أبي حسان الرّيادي، والدّرر لابن عبد البرّ. ومن مظاهر نقده لروايات السّير أنه لخصّ روايات السّير الكثيرة، ورجح بين هذه الروايات إن دعت الحاجة، وجرّد كتابه من الاستطرادات مثل الأشعار والقصص⁷⁶. وقد أثنى على أسلوب نقده إحسان عبّاس⁷⁷، حيث قال: "فهذه الدّقة البالغة في تحليل النّص المنقول، واختيار

⁷² هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمّد، جمال الدّين. مؤرّخ، كان عالماً بالأنساب واللّغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أشهر كُتبه "السّيرة النبوية" المعروف بسيرة ابن هشام، رواه عن ابن إسحاق. وله "القوائد الحميرية" في أخبار اليمن وملوكها في الجاهليّة، و"التّيجان في ملوك حمير" رواه عن أسد بن موسى، عن ابن سنان، عن وهب بن منبه، و"شرح ما وقع في أشعار السّير من الغريب" وغير ذلك. انظر: الرّكلي. 2002. الأعلام. ج. 4. ص. 166.

⁷³ ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري. السّيرة النبوية لابن هشام. شركة الطّباعة الفنيّة المتّحدة.

⁷⁴ انظر: العمريّ، أكرم ضياء. 1994. السّيرة النبوية الصّحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحرّثين في نقد روايات السّيرة النبوية. المدينة المنورة: مكتبة العُلوم والحكم. ج. 1. ص. 66.

⁷⁵ الفرطبي، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الطّاهري. جوامع السّيرة النبوية. بيروت: دار الكُتُب العلميّة.

⁷⁶ انظر: العمريّ. 1994. السّيرة النبوية الصّحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحرّثين في نقد روايات السّيرة النبوية. ج. 1. ص. 67-68.

⁷⁷ هو الدكتور إحسان عبّاس، ولد في عين الغزال، الأردن، وتوفي في عمّان سنة 2003. وهو محقّق، وناقد، و مترجم فلسطيني، وهو من أبرز

نقّاد الأدب العربي في القرن العشرين. انظر: <https://www.addustour.com/articles/471633>

الرّواية الصّائبة بعد الفحص والنّظر والمقارنة، وتصحيح الأوهام الّتي تنجم عن سرعة أو قلّة تدقيق ... هذه هي المميّزات الّتي لا يستطيع أحد أن ينكرها على ابن حزم المؤرخ⁷⁸.

2. الأنوار في شمائل النّبي المختار للبغويّ (516هـ)⁷⁹

وقد استوعب هذا الكتاب ما يتعلّق بشمائل الرّسول ﷺ من صفاته، ومعجزاته، وحُلّقه ونحوها، ابتداءً بباب اختيار النّبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم في السّابقة وانتهاءً بباب في رؤيته صلّى الله تعالى عليه وسلّم في المنام. وقد حوى الكتاب نحو مائة حديث زويت بإسناد البغوي نفسه. ومن جانب آخر، ختم البغوي معظم الرّوايات الّتي أدخلها في هذا الكتاب بذكر حكم موجز في آخر كلّ رواية ذُكرت. وفي بعض الأحيان بيّن البغوي أسباب ضعف بعض روايات ولكنها مختصرة جدًّا، مثلاً: وصف بعض الرّواة بـ"ضعيف"، أو "ليس بقوي"، أو "منكر الحديث".

3. الكامل في التّاريخ لابن الأثير الجزري (ت630)⁸⁰

استوعب هذا الكتاب ما يتعلّق بتاريخ البشر منذ أوّل مخلوق خلقه الله تعالى إلى سنتين قبل موت المؤلّف رحمه الله، ومن خلال هاتين الفترتين، خصّص المؤلّف قسمًا يتعلّق بسيرة الرّسول ﷺ. وذكر ابن الأثير في مقدّمته، أنه جعل التّاريخ الكبير للطّبري مرجعًا أساسيًا في تأليف تاريخه، حيث نقل الرّوايات التّاريخيّة عن الطّبري، وأضاف على نقله ما اقتطفه من المصادر التّاريخيّة الموثوقة الأخرى، ثم رتب هذه الرّوايات ترتيبًا زمنيًا، خدمةً لتاريخ الطّبري. والذي يراه الباحث إن مظهر نقد ابن الأثير في كتابه كمظهر نقد ابن حزم كما تقدّم، إذ رجّح بين روايات السّير المتعدّدة إن دعت الحاجة. وعلى سبيل المثال، سرد

⁷⁸ ابن حزم، الأندلسي. 1900. جوامع السّيرة معارف. مصر: دار المعارف. ص. 6.

⁷⁹ البغوي، الحسين بن مسعود بن محمّد. 1995. الأنوار في شمائل النّبي المختار. دمشق: دار المكتبي.

⁸⁰ ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم. 1998. الكامل في التّاريخ. لبنان: دار الكتاب العربي.

ابن الأثير ثلاث روايات عن وفاة أم الرسول ﷺ، ورجح الرواية الأولى التي تشير إلى أن آمنة ماتت وهي راجعة من المدينة بعد زيارتها لأخوالها من بني النجار.⁸¹

4. عيون الأثر في فنون المغازي والشّمائل والسّير لابن سيد الناس. (734هـ)⁸²

بعد هذا الكتاب من كُتُب السّيرة المشهورة التي اعتمد العلماء عليها، وقد جمع ابن سيد الناس بين مصادر الأحاديث ومصادر المغازي والسّير في تأليف هذا الكتاب. والجدير بالذكر أن عمدته الرّئيسة هي محمّد بن إسحق والواقدي. وقد استوعب هذا الكتاب الروايات من ولادة الرسول ونسبه إلى وفاته ﷺ، أمّا وجوه النّقد في هذا الكتاب، فإنه يرجح رأيًا من الآراء المتعارضة مثل ما يتعلّق بفرق العمر بين حمزة بن عبد المطلب والرسول ﷺ، حيث ساق عدّة روايات متعارضة في ذلك، ثم رجّح رواية ابن إسحق من طريق البكائي أن حمزة أسس من الرسول ﷺ بسنتين. ومن الأمثلة الأخرى، قيامه بالردّ على رواية رجوع الرسول ﷺ مع بلال الذي بعثه أبو بكر من الشّام إلى مكّة، بعد أن علّم أنه رسول الله بإخبار بحيرى الرّاهب إلى أبي طالب. وقد بين ابن سيد الناس علل ضعف هذه الرواية، وقال بأن في متنها نكارة لأنّ إرسال أبي بكر بلائًا يعدّ من الأمور غير المعقولة، لأنّ أبا بكر في ذاك الوقت لم يبلغ العشر سنين، وإن بلائًا لم ينتقل لأبي بكر إلا بعد أكثر من ثلاثين عامًا، وبالتالي حكم ابن سيد الناس هذه الرواية بالنّكارة.

5. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع للمقريزي (845هـ)⁸³

وقد ألف هذا الكتاب تقي الدين المقريزي، وهو كتاب شامل للسّيرة النبوية المجرّدة عن الأسانيد المطوّلة بقصد الاختصار. ومن مظاهر نقده أنه عرض الروايات وأقوال العلماء فيها صحةً وضعفًا، فضلًا عن بيان

⁸¹ المصدر السابق. ج. 1. ص. 423.

⁸² ابن سيد الناس، محمّد بن محمّد. 1993. عيون الأثر في فنون المغازي والشّمائل والسّير. تعليق: إبراهيم محمّد رمضان. بيروت: دار القلم.

⁸³ المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر. 1999. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. بيروت: دار الكُتُب العلميّة.

أسباب ضعف بعض الروايات. وعلى سبيل المثال، بيّن ضعف رواية الترمذي عن أبي هريرة: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة، رجل الشعر"، حيث أكد ضعف صالح بن أبي الأخضر، أحد رواة الحديث، لأنه ضعيف في الزهري. بل إنه أورد آراء علماء الجرح والتعديل نصرةً لرأيه.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA